الموروث الدّيني في رواية الوليّ الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للروائي الجزائري : الطاهر وطار

ليلى جغام (*)

تقديم :

يعتبر البحث في الموروث قراءة جديدة للنتاج الأدبي، ذلك أن الأدب سواء كان موروثا أو معاصرا مرتبط بالأمة تاريخا ووجودا وهوية، والتراث صفة مميزة من صفات تكوّن الهوية القومية، وبنية مشاركة من البنى المكونة للوجود الحاضر بكل مواصفاته.

وتفاوتت عملية توظيف الموروث بين أديب وآخر، فوجدنا توجها من البعض نحو الأساطير حيث تكرر ذكرها في الكثير من المواضع، ووجدنا توجها آخر نحو التاريخ الإسلامي، وجاء البعض الثالث في إبداعاته بالموروثات الشعبية من عادات وتقاليد كانت سائدة في عصر من العصور مع تفاوت في عملية التوظيف.

تلخيص الرواية :

إن رواية - الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي- تمثل نمطا روائيا جديدا في الأدب الجزائري، وهو نمط الرواية الرمزية، حيث يمزج فيها صاحبها الواقع بالتاريخ والدين والتصوف والأسطورة في صور أو عناوين ثمانية، يمثل الواقع فيها ما يجري من أحداث ومجازر دموية في أصقاع عربية عدة، كالجزائر ومصر والعراق يشارك فيها الولي إما سلبا وإما إيجابا.

وتظهر أشكال الرمز المختلفة في حياة الولي، وفي ما يمارسه من سلوكات وما يعتريه من حالات وغفوات وصحوات، ومع من يتعامل معهم من أشخاص.

اعتمد الكاتب في بناء هذا العمل الروائي على شخصية الولي الطاهر، التي مثلت المحور الأساس في تشكيل خيوط وتفاصيل الرواية، في محاولة لربط القديم بالمعاصر في عالم يعج بالفتنة، ويضيق ذرعا بالأفاكين

*) جامعية من الجزائر

والأشقياء، وتلعب العضباء دور الوسيلة في الإرتكاز على هذا التراث، يرتبط اسمها بناقة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالرواية تأريخ لحقبة من حقبات تاريخ الجزائر هي فترة التسعينات، وهي عمل يمارس التعرية على الكثير من القضايا، فتقترب بذلك - كما يقول صاحبها - من التراجيديا.

توظيف الموروث الديني :

يشتغل النص على أكثر من بعد فيما يخص الموروث الديني، حيث يتنوع إلى خمسة أشكال يرتبط كل شكل منها بمظهر من مظاهر الحياة حين مجيء الإسلام، نحاول إيرادها وتحليلها فيما يأتي :

1 - الإقتباسات القرآنية :

ونعني بها إيراد الآيات القرآنية على سبيل التوظيف لأغراض دلالية ومقامية عدة، حيث نجد وطار قد استحضر الكثير من متن القرآن الكريم بالنظر إلى أن الولي شخصية متدينة يكثر في حديثه استشهاده بالقرآن الكريم لتعليل مواقفه، ومن أمثلة ذلك قوله : (فأينما تولوا فثمة وجه الله)، وهي الآية 115 من سورة البقرة، التي نزلت في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، ولم يخالف وطار في توظيفها في مكان يشبه سبب نزولها، حيث أتى بها حين احتار الولي في جهة القبلة لأن الشمس كانت في وسط السماء لا تنمّ عن أي اتجاه.

ونجد قول الولي : (بسم الله مجراها ومرساها) الذي يشير إلى قصة الطوفان وسفينة نوح التي ركبها مع من اختاروا اتباعه وكأنها مقودة، وهي الآية 41 من سورة هود، وجاءت على لسان الولي حين ركب على ظهر العضباء متمنيا انطلاقها.

وجاء قوله تعالى : *إن تنصروا الله ينصركم* (محمد / 7) على لسان أفراد الجماعة التي كان الولي يقودها في إحدى معاركه مع الجماعات الأخرى، إذ كل جماعة تدعي نصرتها للدين وإعلاءها لكلمة الله.

وورد توظيف آخر لآيات القرآن الكريم في قول الولي الطاهر : (افعل ما تؤمر به ستجدني إن شاء الله من الصابرين) في إشارة إلى الآية 102 من سورة الصافات، التي نزلت في شأن سيدنا إسماعيل عليه السلام حين أخبره والده بالرؤيا من أنه رأى في المنام أنه يذبحه، ووردت في الرواية على لسان الولي حين أحس أنه يتمزق في شخصيته بين أناه وآخر، في إشارة إلى تمزق الإنسان الجزائري والعربي في خضم الأحداث التي تجري.

ويظهر الولي في موقف آخر مثخنا بالجروح بعد معارك عدة خاضها، فتراه في الرواية يأتي إلى بركة ماء يغطس فيها ويمرر ذلك الماء على كامل جسده، فيحس بالجروح تندمل، فيحمد الله ويذكره بقوله : (...رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير)، وهو مضمون الآية 24 من سورة القصص، التي نزلت بشأن سيدنا موسى عليه السلام حين سار من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافيا، فلم يصل مدين حتى سقطت نعل قدميه، وجلس في الظل وبطنه لاصق بظهره وهو صفوة الله من خلقه.

فضلا على ذلك فقد وظّف آيات سورة الأعلى في مواضع كثيرة ومتعددة في الصفحات (25، 35، 52، 71، 123، 131، 156)، وكل هذه الإقتباسات كانت حرفية إلى حد كبير، إلى جانب ذلك وردت إقتباسات غير حرفية في مثل ما يأتي :

فقول وطار في وصف المقام : (جعلناه سبعا طباقا) إشارة إلى الآية 3 من سورة الملك، وقوله : (إنه يوم ربك، ألف سنة مما يعدون، أعطى للأرض منه لحظة سميت بالزمان، وقسمت إلى ليل ونهار) فيه بعض مضمون الآية 5 من سورة السجدة.

وكذلك قول الولي : (فلا تعمى الأبصار إنما تعمى

القلوب التي في الصدور) حين كان يتوهم قصره أو مقامه في كل قصر يجده، موظفا الآية 46 من سورة الحج، وهو في حديثه مع بلارة التي أرادت أن تغويه يستحضر عبارة (هيت لك) من الآية 23 من سورة يوسف عليه السلام.

ونجد أن توظيف هذه النصوص القرآنية سواء بحرفيتها أو بغير ذلك ترتبط بتدين الولي الشخصية المحورية في الرواية، أو هي لغة جماعة أراد وطار أن يقيم عليها عمله الروائي في ربط بين ماحصل قديما في عصور الإسلام الأولى والفتنة التي إشتعلت بعد وفاة النبي الكريم واختلاف من خلفوه في الأفكار والتخمينات وبين ما يحصل في فترة كتابته الرواية في عدد من الأقطار العربية التي من بينها الجزائر.

2 - الممارسات والعبادات :

ونقصد بها الصلوات التي كان يؤديها الولي فرضا أو تطوعا، وكان الإمام لكل من حوله من العاملين معه من الشيوخ والقناديز والمريدين والطلبة والطالبات، حيث يصف الروائي في عدد من المواضع من العمل الأدبي المتناول الولي وهو يصلي في مثل ما ورد في قوله: (ثم قرر أن ينزل فيصلي ركعتين تحية لله وتحية للأرض وتحية للزيتونة ثم أولا و أخيرا تحية للمقام الزكي)، (وصلى الركعة الأولى بالفاتحة وسورة الأعلى... وأعاد في الركعة الثانية بعد الفاتحة سورة الأعلى)، (نزل صلى ركعتين بنفس السورة بعد الفاتحة سبح باسم ربك الأعلى، رفع يديه إلى السماء، لبث لحظات طويلة يدعو في سره).

كما كان الولي الطاهر يؤم الناس ممن هم معه في المقام ويظهر ذلك في قول وطار في الرواية : (قابله مع الفجر جمهور من المصلين بمسجد الخليل، يركعون ويسجدون خاشعين لرب العزة، متضرعين له، بأن يفرج كربتهم، فينصر دينه ويخلّص بلاد الإسلام من البلاء الذي لحق بها).

إلى جانب ذلك نجده أي وطار قد وظّف عبارات أخرى تدل على أحكام شرعية، ومما يستشهد به في هذا المقام قوله : (البنات محجوبات، لا ينزلن إلا للصلاة، ويصلين ويزاولن التعليم من وراء حجب، كذلك، ثم إنهن مثلكم قانتات عابدات...) حيث يشير إلى حكم الحجاب والقنوت والعبادة.

ويذكر فكرة الإستخارة وصلاة الغائب على الميت وصلاة الكسوف، ويلمح إلى العدّة شرعا في عبارات متفرقة في الرواية (قلت أستخير ربي)، (...يستأذنونك بإقامة صلاة الغائب على مالك بن نويرة)، (قرر الولي أن يؤدي صلاة الكسوف، فلم يجد في ذاكرته سوى سورة الفاتحة والأعلى، فاستعان بهما في كل الركعات...)، (هل قضت العدة كما يقول الشرع أم لا).

3 - الأدعية والأذكار :

تحشر مجموعة من الأدعية والأذكار في الرواية أغلبها ترد على لسان الولي من مثل (بحول الله وحمده، يا من خلقت وسويت، اللهم حمدك ما دمت في ملكك سبحان الله العلي العظيم، سبحان الذي يعلم الجهر وما يخفى، اللهم يا ذا الجلال والإكرام لا تنسينا ما أقرأتنا...).

فضلا على ذلك نجد دعاء يتكرر كلازمة في الرواية هو قول الولي: (يا خافي الألطاف نجنا مما نخاف)، وقد جاء في ذكر هذا الدعاء أنه تكرر عند عرب الأندلس وحكامها في سنوات الهجومات التي شهدتها من قبل المعتدين.

4 - شخصيات وتسميات :

أستعملت الكثير من المصطلحات والتسميات ذات المرجعية الدينية في نص الرواية في شكل رموز تحمل العديد من الدلالات، فالمقام لفظة دينية تشير إلى موضع مكاني أو مجلس، ويطلق عادة على الخلوة أو الضريح، أما لفظة الصلاة فتعني العبادة، وقد تدل على الدعاء.

والطهارة وتعني باطن النفس أكثر من ظاهرها، رغم

تهم لا تهمه، وقد تكرر هذا اللفظ بكثرة في الرواية، وقد ما ظهر في العنوان (الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي). وتذكر لفظ ديني يقابل النسيان من حيث اللغة، وأخذ في القرآن عدة معان من بينها الصلاة في الآية 9 من سورة الجمعة، والخبر في الآية 41 من سورة مريم.

وكذلك لفظة الإستغفار، التي تعني طلب المغفرة عن ما تعني، وهو ما يوجب التوبة والدعاء والتضرع، والزيتونة رمز ديني وتراثي، وهو إسم لشجرة مباركة قدست قديما ومازالت، والعضباء إسم أتان الولي، وسميت بهذا الإسم تيمنا بناقة الرسول صلى الله عليه وسلم. وأعطيت صفاتها من أنها مقودة تدرك غاية الولي وطريقه دون أن يتكلم، كما وصفت بأنها سفينة نوح.

إلى جانب إصطلاحات أخرى من مثل (القبلة، القرآن، الشريعة، المصلى، المحراب، المئذنة، الخلوة، مسيمة، سجاح، عمر بن الخطاب، عمرو بن العاص، خالد بن الوليد، الخلافة، الإستحمام بالذكر...).

وقد تتخذ الشخصية الواحدة عددا من الأسماء والصفات بحسب المواقف والمقامات واختلاف الأحداث وتشابكها.

5 – أحداث ووقائع :

استحضر وطار في رواية الولي الطاهر أحداثا جرت في بدايات الإسلام الأولى من مثل ما ورد في الصفحة 43، حيث كان الحدث إشارة لغزوة الخندق التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته أمثال خالد بن الوليد الذي كان يحمل راية المهاجرين، وفي الجانب الآخر يحمل ثابت بن قيس راية الأنصار.

كما وظّف حروب الردة ومقتل مالك بن نويرة سيد بني يربوع وكل حنظل(الشاعر الوسيم) بيد خالد بن الوليد لأنه شكّ في إسلامه، والقصص التي حيكت بشأن ذلك من أن خالد لم يقتله إلا طمعا بزوجته أمّ متمم، ويذكرون أنها لم تحزن عليه كما ينبغي أن يكون لأرملة فقدت زوجها.

وقصة أن خالد صدّق أمّ متمم هذه إلى درجة أنه ائتمنها على أسير خطير كمجاعة، ومن أن مالك بن نويرة كان مؤتمنا من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ومحل ثقته حتى أنه كان من جملة المصدقين في العرب الذين بعثهم الرسول الكريم مع عكرمة وحامية بن السبيع الأسدي والضحاك بن سفيان وعدي بن حاتم وغيرهم، وكلهم صحابة رضوان الله عليهم.

وقد كان عمر على عكس خالد لا يشك في إسلام مالك إلى درجة أن يصل إلى قتله كما فعل خالد، وقد زاد عمر على ذلك أن وصفه بأنه تجب إضافته إلى مصاف من شرب كأس الفتوة ولبس سراويلها.

كما أن هناك إشارة إلى فرض الجزية على كل من لا يدخل في دين الله في الصفحة 66، وهي عودة إلى فرض الجزية من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم على اليهود (وسموا بأهل الذمة) حين دخل المدينة، ونجد تلميحا آخر للفتوحات في نفس الصفحة.

أما في الصفحة 76 فيشير وطار إلى قصة أسر أمّ متمم في محاولة تكملة لحكاية قتل مالك، ثم يأتي في الصفحة 145 بنص طويل يذكر فيه عدة أحداث من مثل قوله : (خاض بدرا، خاض أحدا. اتخذ موقفا في السقيفة، مع الأنصار، ثم غيره إلى جانب المهاجرين، ناصر الأمويين ثم تراجع إلى الهاشميين، وفي صفين روى سيفه بالدم، حتى وصل إلى الماء وارتوى، وقبل ذلك في واقعة الجمل، ساهم في عقر مطية أم المؤمنين. عارض موت مالك بن نويرة مع قتادة، ولكن سبق السيف العذل، وكان حاضرا عند موت مسيلمة الكذّاب، وفي فتح دمشق، وحصار بيت المقدس، وقطع مع طارق بن زياد المضيق، وتوغل مع عبد الرحمان الداخل ،حتى نهاية المعركة، وقاد العسكر الذي رافق بلارة ابنة الملك تميم بن المعتز، إلى بيت الناصر بن علنّاس بن حماد، وأستشهد مرات، مرة في عيينة مدافعا عن محمد بن عبد الوهاب... ومرات في كابول،....).

وأمام هذا النص، نحن حيال موسوعة في تأريخ وتوثيق الأحداث التي جرت في بدايات الإسلام الأولى على تعدد وجوه وأشكال الإشارة إليها، فقد يكتفي الروائي بالتلميح العابر إلى هذه الوقائع، وقد يطنب في ذكرها، وتحليل ما يتعلق بها، وربما زاد على ذلك بأن وصف النتائج التي تنجر عليها داخل إطار الأحداث أو خارجه دون أن تفقد الحد الأدنى من متطلبات التكنيك الفني.

وقد يتداخل في الرواية ما هو ديني بما هو صوفي، على اعتبار الصور والصفات التي تنسب للولي الطاهر الذي يعد الشخصية الأولى، والأساس الذي تنسج حوله الأحداث وتتشابك، وهو بشكل آخر المحرك لهذه الوقائع، لكنه قد يظهر مؤثرا منذ البداية، وربما ظهر محتارا لكن تذهب حيرته تدريجيا بفضل كرامته التي وهب إياها.

لذلك ارتأينا أن نشير إلى بعض ملامح التصوف التي تظهر في نص الرواية، لكن قبل هذا لا بأس من أن نشير إلى أن اللغة الدينية مباشرة تقول الأشياء كما هي بشكل كامل ونهائي، وقد توظف إصطلاحاتها بأهداف وأغراض تتعلق بمستعملها، أما اللغة الصوفية فهي لغة رامزة، لا تقول من الأشياء إلا صورا، بعدها تجليات للمطلق، تجليات لما يقال ولا يوصف ولما تتعذر الإحاطة به، ودلالاتها تتميز بعدم الثبات وتعدد التأويلات.

رموز الخطاب الصوفي في الرواية :

سوف نقصر الرموز في هذا الإطار على مسميات الصوفية، التي كثر ورودها في الرواية لاختصاصها بحالات الولي وتصرفاته، ونذكر لذلك عددا من الألفاظ مشيرين في كل مرة إلى معناها عند الصوفية، ونقسم الرموز الصوفية إلى ثلاثة أنواع هي كما يأتي :

1 - رمز الخمر وتأثيرها :

ويوظف هذا النوع من الرمز من قبل الأديب لأن ذكر الخمر وأوصافها ومجالسها كثيرا ما تكرر في أدب الصوفية وكلامهم، ومن أمثلة ذلك في الرواية قول الشاعر في الصفحة 54 :

أنا حنين ومنزلي النجف
وما نديمي إلا الفتى القصف
أقرع بالكأس ثغر باطية
مترعة نارية وأغترف
من قهوة باكر التجار بها
بيت يهود قرارها الخزف
والعيش غض ومنزلي خصيب
لم تغذني شقوة ولا عنف

وهي أبيات شعرية في وصف الخمرة الذي كثيرا ما اقترن بوصف النديم، ولكن تتفق الأوصاف والمعنى يختلف، لأن الخمرة عند الصوفية تعني الانتشاء من حب الله سبحانه وتعالى إلى درجة يذهب فيها عقل الصوفي وينتقل مع وجد إلى عالم آخر، ونجد لفظ النشوة والتي تعني قمة اللذة، وتحقق بمطالعة جمال الحق عز شأنه، ويعني التماوج الميلان والترنح، ولا يكون إلا من أثر السكر وفقدان الوعي.

أما لفظ الغيبة فيعني في الرواية الغيبة الروحية، التي تتجلى من خلال غفوات الولي، وغيابه عن المكان، إما بتحليق روحه ووصولها إلى عنان السماء في جو تكتسيه هالة نورانية عجيبة، وإما برجوع ذاكرته إلى حروب خاضها ومعارك شارك فيها، والغيبة تدل على الإغماء الذي يصاحب السكر، وفي هذا دلالة الوجد لدى الصوفية الذي يؤدي بهم غالبا إلى الفناء والإتحاد كما جاء في كتاب عاطف جودة.

ونمثل لرمز خمري آخر هو الصحو الذي يدل عند الصوفية على مرحلة من مراحل السكر، فلا صحو بدون سكر، والصحو أيضا هو الرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي.

وهناك رموز خمرية كثيرة يتعذر ذكرها كلها بحكم تكرر حالات الولي في الغيبة والغفوة والسرحان وفقدان الوعي، وهذه الغفوات في الرواية

لعبت دور الجسر الذي ينتقل الأديب عبره بين الصوفية والواقع.

2 – رمز المرأة وأوصافها :

إن توظيف المرأة كرمز مبنيّ على فكرة الحب الإلهي الذي يتبناه الصوفية، وهو من العادات الجارية في كتاباتهم، فهم يستعملون أوصاف المرأة الحسية والمعنوية ولا يقصدونها لذاتها إنما يشيرون بها إلى أوصاف الذات الإلهية.

كانت المرأة الطرف الثاني في الرواية إلى جانب شخصية الولي وهي بلارة، وقد وصفها بعدد من الأوصاف من مثل (بضة، رشيقة، لطيفة، ساحرة، غاوية، تزداد بهاء ورونقا وإغراء واشتياق، غضة، لدنة، دافئة، دفاقة...)، وهي ألفاظ وعبارات كثيرا ما ظهرت في الشعر القديم في مقام التغزل بالمرأة، إلا أنها أستعملت هنا رمزا لجمال يملأ الأفق كله، ألا وهو جمال الذات الإلهية.

وبلارة هذه تمثل الذات العليا على الصعيد الصوفي للولي، ودليل ذلك قوله في الصفحة 77 : (كل الإناث أم متمم...)، وأم متمم هي بلارة، فكأنها قد حلت في جسد كل فتاة، فلا تنطق إلا بما تنطق به، ولا تفعل إلا ما تفعله، وهو دليل توظيف نظرية الحلول التي ينادي بها الصوفية.

وفي قول آخر يصورها على أنها الحبيبة الأزلية التي يجد الولي ويجتهد في البحث عنها ليتحقق له التوحد معها، فنجده في الصفحة 118 يقول: (كيف يا بلارة العزيزة تستطيع نفسي أن تنفصم وتظل بعيدة عن ذاتها، وكيف تستطيع ذات أن تتجرد من نفسها).

ونجده في الصفحة 119 يناجيها، والمناجاة كلام خفي وسري لا يكون إلا بين الحبيبين رغبة منهما في القرب والمودة، في قوله : (كانت تناجيه من خلف الأفق الأزرق البعيد وكان بدوره يناجيها من فوق التلة الرملية من تحت شجرة الزيتون) في مقابلة لمناجاة الصوفي لربه وفي نفسه لهفة لرؤية ومطالعة جماله الأبدي.

3 – رمز الرحلة :

والرحلة عنصر من عناصر بناء القصيدة القديمة، يقطعها الشاعر في سبيل الوصول إلى ممدوحه أو محبوبته، ويصيبه فيها ما يصيبه من التعب والنصب، فيقطع فيها الصحاري ويجتاز الوديان والجبال والفيافي، وهو ضمن ذلك يذكر الراحلة أو المطية، ويتفاعل معها أحيانا فيصف تعبها ومللها في إشارة إلى تعبه هو.

ففي حديثه عن الرحلة نجد مثلا قوله في الصفحة 79 (كيف أصبح مولانا، بعد رحلة البارحة)، وهو لا يقصد الرحلة العادية، بل هي رحلة من نوع خاص لدى الصوفية، هي رحلة روحية تتسامى فيها روح الصوفي وتعلو في السماء، تملأ الفضاء وتطلب التوحد مع الخالق في شوق ووله.

أما عن توحده مع مطيته، فنجده صار مع العضباء شخصا واحدا، وهذا ما يظهر في قول الأديب في الصفحة 62: (أدركت العضباء مقصد الولي الطاهر فاستدرت إلى اليمين).

ورحلة الولي إلى المقام من جهة، وبحثه المستميت على بلارة من جهة أخرى، استعملها وطار كما استعملها الصوفية من قبله أسلوبا يتبعونه في الوصول إلى الحبيب (الله سبحانه وتعالى).

فضلا على الرموز المشار إليها والتي تحيل إلى دلالات تتعلق باستعمالات الصوفية والمفاهيم التي تداولوها نجد مفردات تدل دلالة مباشرة على المذهب الصوفي، وأغلبها يرتبط بالولي على اعتباره شخصية متدينة.

ومن أمثلة ذلك **الخلوة** التي تعني لدى الصوفية الاعتزال أو قطع العلائق والخلو إلى النفس، **والإبحار** المشتقة من البحر، وهو السلوك الباطن المعنوي للأعمال النفسية، وأما **الشيخ** التي تطلق عند الصوفية على مرتبة أو وظيفة، فالشيخ أقرب إنسان للولي يتكفل بشؤونه ويساعده على قضاء حوائجه.

والولي مشتق من الولاية، وهي مرتبة من مراتب

القرب الإلهي، **والصرع** وهو حالة تصيب الصوفي تؤدي به إلى الوقوع أرضا، حيث يصل بعدها إلى الغياب عن العالم المحسوس في طلب لتجلي أو شهود ذات الله تعالى، **والبركات والكرامات**، اللتين تعنيان امتيازا يختص بها الولي التي تثير الدهشة والعجب كالخوارق والمعجزات.

والقطب لفظة تطلق عند ابن عربي على كل شخص يدور عليه أمر من الأمور، أو مقام من المقامات، أو حال من الأحوال مثل الزهد والتوكل، فللزهد قطب وللتوكل قطب، **وأما الحضرة** فتعني كل حقيقة من الحقائق الإلهية أو الكونية مع جميع مظاهرها في كل العوالم، فالقدرة مثلا حقيقة إلهية وتجلياتها من حيث تميزها عن بقية الحقائق الإلهية تشكل حضرة القدرة.

خاتمـــة :

وقد وظّف الروائي الموروث الديني والصوفي ليضفي على أجواء الرواية طابعا أراده أن يتوازى مع تصويره للجماعة التي كانت سببا في الأحداث من المنظور السياسي.

وقد نجح وطار في معالجة قضية اجتماعية واقعية غطاها بستار الصوفية والدين، دون اللجوء إلى المباشرة، التي كانت يمكن أن تجر عليه مشاكل كثيرة، وبهذا أمكنه أن يتجاوز الواقع في أبعد ما يكون عن السرد المباشر، في شكل رموز وإيحاءات، متجنبا التصوير الفوتوغرافي، في عملية تجريد وذهنية.

وقد ساعده ذلك على التصوير والوصف بحرية، فضلا على معرفته بأمور تاريخية ودينية وصوفية شكّلت منهله الذي يغرف منه فلا ينضب.

ومع كثرة ما تضمنته الرواية من موروث (ديني، صوفي، تاريخي وأسطوري...) إلا أنك تعجز عن رصد هذا الموروث رصدا إحصائيا، لأن الرواية لا تكاد تخلو منه.

وأخيرا الموروث لا يرد عفو الخاطر، إنما في سياق بناء روائي درامي تنفذ معه الإشارات التراثية إلى الأعماق، وترقى إلى مستوى الرمز في أحيان كثيرة، ولابد أن لتوظيف الموروث بكل أشكاله أهدافا قد تختلف بتفاوت درجات توظيفه.

ولعل أهم أهدافه في توظيف وطار له في هذه الرواية هو مقابلة الفتن التي حدثت في بدايات الإسلام الأولى، واختلاف مواقف أولي الأمر منها آنذاك بما يحدث في الجزائر وفي عدد من الأصقاع العربية في الفترة التي أرّخ لها من ناحية، محاولة ستر الواقع وتغليفه تجنب لما كان سيحدث إذا صرّح به.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للروائي الطاهر وطار، منشورات التبيين، الجاحظية، الجزائر، 1999.
- أدونيس (علي أحمد سعيد)، الصوفية والسريالية، دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992، (ص 22، ص 25، ص 26).
- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1401 هـ - 1981م، (ص 183، 184، ص 323، ص434، ص 670، ص 930، ص 1130، ص 1206، ص 1234).
- عاطف جودة نصر، شعر عمر بن الفارض - دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1402 هـ - 1982، ص 133.